


# تفريغ: (دورة تدبرات العلماء)

## للشيخ: عقيل بن سالم الشمري.

**تنبيه:**

**هذا التفريغ لا يُغني عن سماع المقاطع, نأمل عدم الاكتفاء به**

## تدبرات ابن القيم (1)

بسم الله، والحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله.

هذه زيادة مدارسة في تدبرات ابن القيم، يعني: سأقرأ الآن تدبرات ابن القيم لأجل أن نتدرب كيف ينظر ابن القيم للآية، وبالتالي يستنبط منها؟ ما هي طريقته؟ ما هي منهجيته؟ ما هي آليته؟ سآخذ عدَّة أمثلة في هذه المقاطع، وأريد أن أبيّن أننا في هذه المقاطع لن نرتبط بالقواعد التي أشرحها، لكني سأتوسع قليلاً لأني أريد فقط أن أستنتج كيف يتدبر ابن القيم؟ وابن القيم مشهور بقضية التدبر.

سنأخذ قوله تعالى: ((هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ))[الذاريات:24-27].

هذه الآيات ابن القيم يستنبط التالي، اسمعوا ماذا يقول، طبعاً سأقرأ كلامه وسأعلق عليه.

يقول: في هذه الآيات ثناء على إبراهيم من وجوه متعددة:

**الوجه الأول:** أنَّه وصف ضيفه بأنَّهم مكرمون. إذاً ابن القيم نظر إلى كلمة (المكرمين)، المكرمين تعود على الأضياف، ((هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ))، يعني: بيَّن الله أنَّهم مكرمون، ابن القيم استنتج من أنَّ ذكر عن ضيوف إبراهيم أنَّهم مكرَمين، معناها: أنَّ إبراهيم مكرِم، وإلا كيف كانوا مكرَمين؟! مدح الضيوف مدحٌ لصاحب المنزل، ولهذا قال: فيها ثناء على إبراهيم لأنَّ الله سمى أضيافه (مكرَمين)؛ بدليل أنَّه أكرمهم.

**الفائدة الثانية** عند ابن القيم: قال: ((إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ))، ولم يذكر استئذانهم، ففي هذا دليل على أنَّه عليه الصلاة والسلام كان قد عُرف بإكرام الضيفان، واعتياد قراهم، فبقي منزله مضيفة مطروقاً لمن ورده.

يعني: ابن القيم استنتج من كلمة ((إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ))، ولم يذكر: إذ استأذنوا عليه، وهذا يعطينا إشارة أنَّ ابن القيم أحياناً ينظر للفظ لِمَ قيل هذا اللفظ بهذا الشكل ولم يقال بشكل آخر؟ يعني: لماذا قال الله، أو ما الحكمة من قول الله: ((إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ))، ولم يقل: إذ استأذنوا عليه. لماذا ذكر الدخول مباشرة؟ قال: هذا دليل على أنَّ إبراهيم معتاد على الأضياف، وأيضاً دليل على أنَّ الضيوف دائم يدخلون لبيت إبراهيم ما يحتاج أنَّهم يستأذنوه، وهذا دليل على كرم إبراهيم.

**الثالثة:** ((قَالَ سَلامٌ))، انظروا ابن القيم الآن يريد أن يستنبط من كلمة واحدة وهي كلمة ((قَالَ سَلامٌ))، ويقول ابن القيم: بالرفع، وهم سلَّموا عليه بالنصب، والسلام بالرفع أكمل.

يعني: ابن القيم الآن جلس يستنبط لنا فوائد من حتى الحركة، لماذا هم قالوا: سلاماً ((إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا))، بالنصب، ((قَالَ سَلامٌ)) هو بالضم، الفتحة والضمة هذه عند ابن القيم استنبط منها منهجية، أو استنبط منها فائدة وذلك لأنَّ النصب دليل على أنَّها مفعول به وقبلها فعل، وأما الرفع فدليل على أنَّها خبر وقبلها مبتدأ، وما دام أنَّها قبلها مبتدأ وهي خبر معناها أنَّها جملة اسمية، والجملة الاسمية أقوى من الجملة الفعلية، وبالتالي الجملة الاسمية كما مضى معنا تدلُّ على الثبات، وعلى التجدد، وعلى الاستقرار، وعلى الدوام، وعلى أنَّ هذا الأمر صار صفة لإبراهيم، فهم قالوا: نسلِّم عليك سلاماً، وهو قال: عليكم السلام، يعني: بصفة الرفع، فهذا دليل على أنَّ إبراهيم أكرم منهم في التحية، والإكرام في التحية هي نوع من إكرام الضيفان، فأيضاً فيها أمر رابع وهو ثناء على إبراهيم.

فصار عندنا ((الْمُكْرَمِينَ)) فيها فائدة، ((إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ)) فيها فائدة، ((سَلامٌ)) أيضاً فيها فائدة، وكل الفوائد تدلُّ على كرم إبراهيم.

**الهدف:** انظر إلى دقة ابن القيم في قضية الكلمات وتحليل الكلمات، حتى الحركات.

**************************************************************

## (تدبرات ابن القيم2)

بسم الله، والحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله.

أيضاً تدبرات ابن القيم في آية قصة إبراهيم:

يقول ابن القيم: قوله: ((قَوْمٌ مُنكَرُونَ))، حذف المبتدأ، يعني: ما قال: أنتم قوم منكرون، لكن قال: ((قَوْمٌ مُنكَرُونَ))، و(أنتم) حذفها إبراهيم. ابن القيم يستنبط من الحذف، وهذه دقة في التدبر أنَّك تتدبر في اللفظ، ثم تتدبر في الحركات في الضمة والفتحة، ثم تتدبر في الشيء المحذوف، فابن القيم قال: حُذفت كلمة (أنتم). يعني: المفروض أن يقول إبراهيم: سلام أنتم قوم منكرون، (أنتم)، لكن حذف (أنتم)، لماذا؟ يقول ابن القيم: وهذا يدلُّ على الأدب مع الأضياف؛ لئلا يكون فيه خشونة في الكلام، ما قال: أنتم قوم منكرون، قال: ((قَوْمٌ مُنكَرُونَ)).

وأيضاً تدبر ابن القيم في كلمة ((مُنكَرُونَ))، ولم يقل: إني أنكركم، أو أنا ما عرفتكم، وإنَّما قال: ((قَوْمٌ مُنكَرُونَ))، يعني: جاء بها على حذف الفاعل، بنى الفعل للمجهول وحذف فاعله، فقال: ((مُنكَرُونَ))، ولم يقل: إني أنكركم، يقول ابن القيم: وهذا أحسن في هذا المقام وأبعد من التنفير والمواجهة والخشونة، ولهذا فرق بين أنَّك تقول لضيوفك مثلاً: أنتم ما أنتم معروفين عندي، وبين تقول: يا أهلاً فيهم من أي بلد؟ يا أهلاً فيهم من غير عرف؟ تصير أخف وقعاً من كلمة: أنتم ما أنتم معروفين، أو إني ما أعرفكم، أو أنتم منكرون، وهذا دليل على أيضاً كرم إبراهيم.

**هو الهدف:** أني أبيِّن لكم منهجية ابن القيم أنَّه الآن بدأ تعدى قضية الألفاظ إلى الحركات، إلى المحذوفات، فبدأ الآن يتدبر في المحذوفات، وهذا يعطينا دلالة على ماذا؟ على أنَّ الإنسان إذا نظر في الآية عليه أن يشبع النظر، يعيد ويكرر، وينظر في اللفظ الأول، ثم الثاني، ثم الأول مع الثاني، ثم ما هو الشيء المحذوف لو حُذف؟ ثم لِمَ قال هذه الصيغة ولم يقل بصيغة أخرى؟ ثم لماذا حُذف ما حُذف؟ وينطلق المسلم المؤمن ينطلق من قاعدة أنَّ هذا اللفظ هو أكمل الأوجه، يعني: ما ذُكر في القرآن أنَّ هذا هو أكمل الصيغ، لكن يأتي بعد ذلك دور الإنسان المسلم في اكتشاف وجه الحُسن الموجود، مثل ما عمل ابن القيم.

أيضاً استنبط ابن القيم من كلمة ((فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ))، قال ابن القيم: أنَّه راغ إلى أهله ليجيئهم بنزلهم، والروغان هو: الذهاب في اختفاء بحيث لا يكاد يشعر به الضيف، وهذا من كرم رب المنزل المضيِّف أن يذهب بخفاء بحيث لا يشعر به الضيف فيشق عليه ويستحي.

هنا ابن القيم يستنبط من ماذا؟ يستنبط من اللفظ، وهذا أيضاً باب جميل جداً في التدبر، يعني: من كلمة (راغ)، لِمَ قال الله: ((فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ))؟ لماذا ما قال الله: فذهب إلى أهله، فرجع إلى أهله، فأسرع إلى أهله، فعاد إلى أهله، لماذا كلمة (راغ)؟ ابن القيم الآن يعلمنا يدربنا في التدبر على أنَّه أي لفظ جاء في القرآن اسأل نفسك هذا السؤال: ما الحكمة من إتيان هذا اللفظ وليس غيره؟ فما الحكمة من قول الله مثلاً: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ))[الفاتحة:2]، ما الحكمة من أنَّ الله قال: ((الْحَمْدُ))؟ لماذا ما قال: المدح لله؟ ما الحكمة من أنَّ الله قال: ((مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ))[الفاتحة:4]؟ لماذا ما قال: مالك يوم القيامة، مع أنَّ المؤدى واحد؟ أكيد هناك حكمة؛ لأنَّه يريد أن يبيِّن أنَّ الدين

بمعنى الجزاء، يعني: كأنَّ الله يقول: يوم القيامة إنَّما تجزون فيه بأعمالكم، فأتى بلفظ الجزاء (الدين) حتى يكون أكثر وقع على القارئ.

المهم أنَّ ابن القيم انظروا الآن كيف يتدبر في اللفظ نفسه، فيصير عندنا ابن القيم الآن تدبر في الكلمة، وفي الحركات، وفي المحذوفات، وفي اللفظ من حيث اللغة العربية، يعني: لِمَ استعمل هذا اللفظ دون غيره.

*************************************************************

## تدبرات ابن القيم (3)

بسم الله، والحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله.

ابن القيم أيضاً يكمل استنباطه في هذه الفوائد فيقول:

**الفائدة السابعة**: قال: أنَّ إبراهيم ذهب إلى أهله فجاء بالضيافة، فدلَّ على أنَّ ذلك كان معدَّاً عندهم، مهيئاً للضيفان، ولم يحتج أن يذهب إلى غيرهم من جيرانه أو غيرهم فيشتريه أو يستقرضه.

ابن القيم هنا يستنبط من ماذا؟ يستنبط من الفاء، يعني: لمَ قال الله: ((فَجَاءَ بِعِجْلٍ))، (فجاء)، ما الحكمة من أنَّ الله لم يأت بلفظ آخر؟ ما قال مثلاً: فراغ إلى أهله وأتى؟ ما الحكمة من إتيان ((فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ))، (فـ)؟ يستنبط ابن القيم أنَّ الفاء هذه تدلُّ على التعقيب، معناها: في سرعة، انظروا كيف الاستنتاج عند ابن القيم، الفاء تدلُّ على التعقيب، والتعقيب يدلُّ على السرعة، والسرعة تدلُّ على أنَّ الطعام كان مهيئاً، إذاً كان إبراهيم من عادته أن يوصي أهله دائماً أن يعتنوا بقضية الطعام، وأن يكون طعامهم جاهزاً، وأن يكثر طعامه؛ لأنَّه عُرضة، وهو على هذا أهل الكرم، وقصص الكرم التي نحن نسمع بها أحياناً وإن كانت هي دون إبراهيم أنَّ الإنسان أحياناً إذا كان معتاداً للكرم فإنَّه دائماً يتوقع أنَّه في حالة الغداء أو حالة الوجبات يعني سيأتيه، ولهذا يتعاهد أكله، فانظر كيف ابن القيم استنبط من (فجاء)، وهذا يدلك على أنَّه حتى الأحرف عند ابن القيم فيها تدبرات.

ثم يقول ابن القيم: قوله: ((فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ))، دلَّ على خدمته للضيف بنفسه.

من أين أتى ابن القيم بهذه الجملة؟ ((فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ))، قال: دلَّ على خدمته للضيف بنفسه، ولم يقل: فأمر لهم. استنبطها ابن القيم من كلمة (فجاء)، (جاء) فعل ماض، والفاعل (هو)

يعني: إبراهيم، يعني: إبراهيم الذي جاء. ابن القيم سأل سؤالاً بينه وبين نفسه، هكذا التدبر هي أسئلة، فسأل ابن القيم نفسه: لِمَ إبراهيم هو الذي جاء؟ لماذا ما يأمر؟ يعني ما الحكمة من إتيان فعل (جاء)؟ لماذا ما هو فعل (أمر)؟ فاستنبط ابن القيم أنَّ هذا يدلُّ على أنَّه هو يخدم الضيفان بنفسه، ولهذا أسند الله الفعل إليه، ((فَجَاءَ))، يعني: إبراهيم، وهذا طبعاً أبلغ في إكرام الضيف.

أيضاً ابن القيم استنبط من كلمة ((فَجَاءَ بِعِجْلٍ))، ما جاء كلمة (سمين) إلى الآن، لكن كلمة (عجل) نفسها، ما قال الله: فجاء بنصف عجل، فجاء بربع عجل، فجاء ببعض لحم، لا، أتى بالعجل بكامله، فقال ابن القيم: أنَّه جاء بعجل كامل، ولم يأت ببعضه، وهذا من تمام كرمه صلى الله عليه وسلم.

**الشاهد:** أنَّ ابن القيم حتى كلمة (عجل) تأمل فيها، يعني: أعمل عقله في كلمة عجل، فاستنبط أنَّ عجل مقصودة، مع أنَّه لو قال في غير القرآن، يعني: لو قال: فجاء بلحم، فجاء بطعام، كاف، لكن ذكر الله كلمة (عجل) يريد منَّا أننا نُعمل أذهاننا، فاستنبط ابن القيم أعمل ذهنه واستنبط أنَّ هذا دليل على كرم إبراهيم؛ لأنَّه جاء بالعجل بكامله، ما يهمه قضية عدد الضيفان، المهم أن يأتي بالطعام بكامله، فيأخذ الضيوف حريتهم في قضية الأكل، وهذا من تمام كرمه.

ثم استنبط ابن القيم قال: سمين لا هزيل، ومعلوم أنَّ ذلك من أفخر أموالهم، ومثله يُتخذ للاقتناء والتربية، فآثر به ضيفانه. يعني: ابن القيم أيضاً نظر لكلمة ((سَمِينٍ))، وجاء ابن القيم في ذهنه سؤال: ما الحكمة من أنَّ الله يذكر كلمة (سمين)؟ يعني: ماذا يستفيد القارئ؟ لو قال الله: فجاء بعجل، فهمنا، لو قال: فجاء بطعام، كاف، لكن لماذا كلمة (سمين)؟ لأنَّ الله يريد أننا نتدبر هذه الكلمة، وبالتالي نستنتج أنَّ من إكرام الضيف أن يبذل الإنسان أنفس ماله؛ لأنَّ إكرام الضيف عبادة، وهذا المال الذي قدمته للضيوف هذا ليس خسارة، هذا يعتبر عبادة لله سبحانه وتعالى، من أجمل العبادات، ومن أروعها، وتخرج من أمراض القلب الشيء الكثير، انظروا كيف ابن القيم استنتج من كلمة (سمين).

*******************************************************************

## تدبرات ابن القيم (4)

بسم الله، والحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله.

نكمل تدبرات ابن القيم حتى نكتشف منهجية ابن القيم في التدبر، استنبط من كلمة ((فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ))، استنبط فائدتين فقط من كلمة ((فَقَرَّبَهُ)) ومن كلمة ((إِلَيْهِمْ))، فصار عندنا فائدتين.

الأولى: (قربه)، ولم يقل: وقال لخادمه: قرِّبه، مع أنَّ الظن بإبراهيم أن يكون عنده خدم، لكنه قال: ((فَقَرَّبَهُ))، يعني: أسند الفعل إلى إبراهيم نفسه، وهذا دليل على خدمة الضيف بنفسه أنَّه كان يخدم الضيوف، وهذا دليل على أنَّه كان يتلذذ بذلك، وهذا دليل على سخاء نفسه وكرمه، يعني: هذه النتيجة النهائية.

ثم استنبط ابن القيم من كلمة ((إِلَيْهِمْ))، فقال: وهذا أبلغ في الكرامة أن يجلس الضيف ثم يُقرَّب الطعام إليه، ويحمله إلى حضرته، ولا يضع الطعام في ناحية ثم يأمر الضيف بأن يتقرَّب إليه. يعني: استنتج ابن القيم من حتى الجار والمجرور ((إِلَيْهِمْ))، ((فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ)).

**والقصد** أننا ننظر ونتتبع منهجية ابن القيم، حتى الأحرف فيها سر عند ابن القيم، وأكيد تؤدي دلالة، فهنا قال: ((فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ))، وهذا دليل على كرمه؛ لأنَّه ما يريد إعناء الضيوف، ما يريد إتعاب الضيوف، وإنَّما أتى بالطعام إليهم، ما عليهم إلا أن يمدوا أيديهم، هذا غاية في الكرم، فانظر كيف ابن القيم يستنتج حتى من الأحرف.

ثم أيضاً استنتج ابن القيم من الأحرف أيضاً أنَّه استنتج من ((أَلا تَأْكُلُونَ))، يقول ابن القيم: وهذا عرض وتلطف في القول، وهو أحسن من قوله: كلوا. يعني: ابن القيم كأنَّه جاء في ذهنه سؤال؛ لأنَّ التدبر عبارة عن أسئلة، ابن القيم جاء في ذهنه سؤال: ما الحكمة من أنَّ الله يقول عن إبراهيم أنَّه قال: ((أَلا تَأْكُلُونَ))، ولم يقل: (كلوا) مع أنَّ المؤدى واحد؟ يقول ابن القيم: لأنَّ (ألا) فيها عرض، فيها تلطف، فيها أدب مع الضيوف؛ لأنَّ عليهم نوع من الحياء هم، فلا يريد إحراجهم وقال: ((أَلا تَأْكُلُونَ))، يعني: يريد أن يتلطف معهم، وهذا أفضل من أنَّه لو قال: كلوا، مدوا أيديكم، افعلوا، وإنَّما أتى لهم بسؤال تلطفي، مع أنَّهم هم لن يأكلوا، فانظر كيف ابن القيم أيضاً استنتج من حرف (ألا) التي تدلُّ على التنبيه، وتدلُّ على اللطافة، وتدلُّ على الأدب أكثر من الفعل المضارع (كلوا).

**القصد** هنا انظروا لابن القيم كيف تأتي أسئلة في ذهنه ثم يجاوب عنها، وهذا دليل على أنَّه وهو يقرأ الآية فيها أسئلة، هو يثير أسئلة، لمَ قال الله كذا؟ لمَ قال الله: ((إِلَيْهِمْ))، ولم يقل: فقرَّبه؟ لمَ قال الله: عجل، ولمَ يقل: بنصف عجل؟ لمَ قال الله: (ألا)، ولم يقل: كلوا؟ هذه الأسئلة هي التي تجعل الذهن يعمل ويفكر هذا هو التدبر، أول ما يبدأ الذهن يفكر في هذه الأسئلة هذه هي عبادة

التدبر، يعني: أنت دخلت الصلاة التي تسمى التدبر، أنت الآن بدأت العبادة، قضية استنتجت الجواب أو ما استنتجت الجواب هذا أمر ثان؛ لأنَّ الله يريد من العبد أن يتدبر كلامه، يعني: هذا المنظر محبوب لله أنَّ الإنسان يثير أسئلة على الآية ويبدأ بذهنه يفكر فيها ويعيد، قد يصل إلى الجواب وقد لا يصل إلى الجواب، هذا المنظر محبوب لله؛ لأنَّه عبد يتأمل في كلام سيده.

******************************************************************

## تدبرات ابن القيم (5)

بسم الله، والحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله.

أيضاً من نصوص ابن القيم التي نستطيع أن نتدرب معه فيها على التدبر وعلى منهجية التدبر قول الله سبحانه وتعالى في النازعات: ((فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى))[النازعات:18-19].

استنتج منها ابن القيم كثير من الفوائد، سأختار بعض هذه الفوائد، وأعلق عليها حتى أبيِّن لكم منهجية ابن القيم، يعني: كيف يفكر؟ كيف يتدبر الآيات؟ حتى نتدرب معه.

يقول ابن القيم في هذه الآية: هذا من لطف الخطاب ولينه، الذي هو ((فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى))، وذلك من وجوه:

أحدها: أخرج الكلام مخرج العرض، ولم يخرجه مخرج الأمر والإلزام، وهذا ألطف. يعني: ابن القيم نظر إلى حرف الاستفهام (هل)، هذه الكلمة استوقفت ابن القيم لماذا قال: ((هَلْ لَكَ))؟ ولم يقل مثلاً: تزكى مباشرة، هذا الحرف حرف الاستفهام استنتج منه ابن القيم أنَّ هذا دليل على أنَّ موسى عليه السلام أخرج كلامه مخرج العرض، ومخرج الطلب، مخرج العرض ومخرج من يعرض أمراً عرضاً، ومخرج اللطف، ومخرج اللين، ولم يأت به على شكل أمر، ما قال: يا فرعون تزكى.

**والقصد:** هو انظروا كيف أنَّ ابن القيم حتى كلمة (هل) هذه استنتج منها.

يقول ابن القيم: والثاني: قوله: ((إِلَى أَنْ تَزَكَّى))، والتزكي: النماء والطهارة والبركة والزيادة، فعرض عليه أمراً يقبله كل عاقل، ولا يرده إلا كل أحمق جاهل. يعني: ابن القيم نظر الآن إلى أي كلمة ((فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى))، كأنَّه جاء في ذهن ابن القيم سؤالاً: لمَ قال موسى ((هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى))؟ لماذا ما قال: هل لك أن تؤمن؟ هل لك إلى أن تؤمن؟ هل لك إلى أن تسلم؟ لماذا لفظ (تزكى)، وهذا يدلك على أنَّ التدبر هو عبارة عن أسئلة، يعني: أنت لازم تثير

أسئلة على كل لفظة، بل ابن القيم يدربنا على كل حرف، بل ابن القيم زاد علينا اليوم فأصبح يدربنا حتى على الحركات ضمة وفتحة وكسرة، فهنا ابن القيم يقول: لم قال: ((تَزَكَّى))، لماذا ما قال: تؤمن؟ يقول: وذلك لأنَّ التزكي طهارة نماء يقبلها أي إنسان عاقل، فإذا عرضته على أي إنسان عاقل يقبله.

أيضاً ابن القيم يقول: الثالث: قوله: تزكى، ولم يقل: أزكيك، هذه تدلُّ على أنَّ ابن القيم يدربنا الآن على قضية التدبر بالمحذوف، يعني: كأنَّ ابن القيم آثار في ذهنه سؤال: لماذا ما قال: أزكيك؟ لماذا قال: تزكى؟ أكيد لابد أن يكون كلمة ((تَزَكَّى)) التي ذُكرت في القرآن أبلغ من كلمة: أزكيك، ثم بعد ذلك يبحث ابن القيم عن الجواب الذي يدلُّ على أنَّ ما ذكره الله هنا هو الأكمل، فقال: ((تَزَكَّى)) ولم يقل: أزكيك، فأضاف التزكية إلى نفسه، وعلى هذا يُخاطب الملوك؛ لأنَّ موسى أمام ملك، أمام فرعون، ولكل مقام مقال، فخاطب الملك باللغة التي فيها لين مع الملك، فقال: ((هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى))، ما قال: هل لك إلى أن أزكيك، مع أنَّ فرعون ما يتزكى، موسى يزكيه، إذا أسلم فرعون فإنَّ موسى هو الذي زكاه بعد توفيق الله، لكن انظروا لابن القيم كيف تأمل في كلمة (تزكى)، وأنَّه نسب التزكية إلى فرعون ولم ينسبها إلى نفسه، وهذا يدلك على أنَّ على التدبر في قضية الألفاظ، حتى في قضية: لمَ نُسب إلى الشخص المقابل؟ لماذا لم يُنسب إلى المتكلم.

أيضاً الرابع: قال: ((وَأَهْدِيَكَ))، قوله: ((وَأَهْدِيَكَ))، أي: أكون دليلاً لك وهادياً بين يديك، فنسب الهداية إليه، والتزكي إلى المخاطب. يعني: ابن القيم أثار سؤال: لمَ تغاير اللفظ؟ لماذا قال: ((تَزَكَّى))، ثم قال: ((وَأَهْدِيَكَ))؟ يعني: المفترض في غير القرآن يتشابه الضميران، إما أن يقول: تزكى وتهتدي، وإما أن يقول: أزكيك وأهديك، يعني: إما على سبيل المخاطب أو على المتكلم، لكن واحد للمتكلم وواحد للمخاطب هذه لابدَّ فيها سر عند ابن القيم، ولهذا فعلاً قال ابن القيم: والتزكي إلى المخاطب، أي: أكون دليلاً لك وهادياً فتزكى أنت، كما تقول للرجل: هل لك على أدلك على كنز تأخذ منه ما شئت، وهذا أحسن، هل أدلك على كنز أعطيك منه، هذا لا يليق. فانظر لابن القيم كيف استنبط من قضية تغاير اللفظين، وهذا يدلك أيضاً على أنَّه وأنت تقرأ القرآن انتبه للكلمات التي تغاير فيها الضمير، لابدَّ أن يكون ما ذكره الله هو الأكمل، ابحث عن وجه الكمال الموجود في الآية.

والحمدلله رب العالمين

جزى الله خيرا كل من قرأه ونشره واستفاد منه بأي طريقة كانت